

مفاهيم القرآن

(77) ما يشكل أكبر الخطر على تلك الجماعة ويعرّضها للتقهقر. وإليك بيان هذه الأمور: أ - عدم بلوغ الذروة في أمر القيادة إنّ الأمّة الإسلاميّة - كما يدلّنا عليه التاريخ - لم تبلغ في القدرة على تدبير الأمورها، وإدارة شؤونها، وقيادة سفينتها حدّ الاكتفاء الذاتي، الذي لا يحتاج معه إلى نصب قائد لها من جانب الله تعالى. وقد كان عدم بلوغ الأمّة هذا طبيعياً؛ لأنّه من غير الممكن إعداد أمّة كاملة الصفات، قادرة على إدارة نفسها، وبالغة في الرّشد القيادي والإداري حدّاً يجعلها مستغنية عن نصب قائد محدّد رشيد لها. إنّّه من غير الممكن إعداد مثل هذه الأمّة وتربيتها في فترة ثلاث وعشرين سنة مليئة بالأحداث والوقائع الجسيمة، ومشحونة بالحروب الطاحنة والهزات العنيفة. وليس هذا مختصاً بالأمّة الإسلاميّة، بل التجارب تدلّ على أنّّه من غير الممكن تربية أمّة كانت متوغّلة في العادات الوحشيّة والعلاقات الجاهليّة، والنهوض بها إلى حدّ تصير أمّة كاملة تدفع عن نفسها تلك الرواسب والعادات والخصائص الجاهليّة المتخلّفة، وتتقدّم بنفسها إلى ذرى الكمال؛ بحيث تستغني عن نصب قائد محدّد ورئيس مدير، بل هي تقدر على تشخيص مصالحها في تعيين القائد. إنّ إعداد مثل هذه الجماعة ومثل هذه الأمّة لا يمكن - في العادة - إلّا بعد انقضاء جيل أو جيلين، وبعد مرور زمن طويل يكفي لتغلغل التربية الإسلاميّة إلى أعماق تلك الأمّة، بحيث تخلط مفاهيم الدين بدمها وعروقها، وتتمكّن منها العقيدة درجة يحفظها من التذبذب، والتشرذم والتراجع إلى الوراء. وهذا ممّا لم يتيسّر للمسلمين الذين تولّى النبي الأكرم صلّى الله عليه وآله وسلم تربيتهم وصياغتهم، فإنّ الأحداث التي وقعت، أثبتت أنّ الإسلام لم يتعمّق في نفوس أكثرية المسلمين